بحـث نقـدي | كيـف وقـع الطـلاق بـين الـزعيم (أنطـون سـعادة) و الماسـونيّة (جمعيّة البنّاؤون الأحرار) ؟!

بقلم : حبيب ضومط | موقع أصدقاء الحياة.

بداية، و على قدر كبير من الأهميّة تبيان ما يلي:

هذا المقال لا يُعنى بالدفاع عن الماسونيّة، و ليس بصدد ذلك.

قضيّة انفضاض أنطون سعادة عن الماسونيّة ليست موضع الشك أبداً، و لا محور نقاشنا، فمن المؤكّد تاريخيا حدوث هذا الانفضاض، لقد انفصل أنطون سعادة عن الماسونيّة؛ فباختصار، جوهر المقال هو : بحث نقدي في طريقة تعاطي أنطون سعادة مع موضوع طارئ، و الموضوع هو وجود حالة انضمام بعض القوميين الاجتماعيين للماسونيّة، هو بحث نقدي يتناول طريقة ردّ سعادة على خطر يداهم الأمّة؛ و لو كانت أي جمعيّة او منظّمة أو إيديولوجية هي الموضوع الطارئ، لما اختلف شيء في هذا المقال من حيث السرد و الفكرة.

للزعيم، أنطون سعادة، جزيل احترامي و تقديري، فهو، بنظري، و كما ذكرت في مقالات نشرتها سابقا، من أخيار ما أنجبت أمّتنا في قرنها المنصرم، و ظنّي لو أن سعادة حيّ يرزق، و هو الذي ما كان ينفكّ يقول" :العقل هو الشرع الأعلى"، لقرأ بحثي النقدي هذا بفرح، و تلقّاه برحابة صدر، لافتخر بأن سوريّاً لم يسلّم حتّى له – لسعادة، لطالما أن كلّ بشري هو عرضة للخطأ –كما يقول سعادة نفسه.

لو كان الزعيم، أنطون سعادة، حيّ يرزق، ألا ليته كان، لفَرِحَ بأن سورياً سلّم فقط لقدرة العقل البشري على البحث، التساؤل و الإجابة.

أمّا بعد:

في بداية القرن العشرين، و بالتحديد بعد أربع سنوات من بزوغ ذاك القرن، ولد المفكّر السوريّ أنطون خليل سعادة "1 آذار 1904 م" في قرية لبنانيّة تُدعى ضهور الشوير، و لأن ريعان طفولته وصولا إلى استشهاده هي فترات تاريخيّة سبق للقوميين الاجتماعيين أن سردوها بأدقّ التفاصيل، كما أن الحصول عليها سهل بمكان كيلا أتعرّض لها، و ارتأيت التقديم لهذا الرجل، باعث النهضة السوريّة القوميّة الاجتماعيّة، الزعيم، الفيلسوف و المفكّر، بشكل مختصر و مُقتضب، دون الخوض بالنشأة الفكريّة له التي أنتجت فيما بعد فكرا نهضويّا، بعيدا عن عنصريّتها أو انفتاحها، نازيّتها أو مدنيّتها، معاداتها للساميّة أو إنسانيّتها، و هذه كلّها مجالات بحث مطوّلة، و رغم انعدام وجود مؤلَّف واحد يتعرّض لها بشكل شامل و موسّع و موضوعي؛ كما أنّي لم أقرأ – لهنيهة من الزمن – عن ماسونيّة سعادة، سوى ما يُنشر من هنا و هناك دونما إثبات، أو ما يحلو للبعض نشره.

ثمّ، زبدة الجواب المُعمّم عن هذا الموضوع، بقصد أم بغير قصد: "أن سعادة انتسب للماسونيّة، لكنّه عاد و أعتقها، بل و أصدر بلاغا، بشكل رسالة لعميد في الحزب آنذاك، يحذر القوميين الاجتماعيين من مغبّة الانضمام للماسونيّة"؛ هذه هي الإجابة المعهودة، و اقتضاب هذه الإجابة المتوفّرة – رغم شائكيّة الموضوع – يسبّب لدى المستفسر استغرابا شديدا، خصوصا بعد اطلاعه على الرواية المتوفّرة عن سعادة و الماسونيّة، فسيجد أن تبرير سعادة،

لحظر الماسونيّة عن القوميين الاجتماعيين، تكتنفه ضبابيّة و إبهام شديدين، و هذا ما لم يعتده قارئ أنطون سعادة في أي من مؤلّفاته، فعلى سبيل المثال، في جوابه على صادرة عميد الداخليّة 17-2-140 بتاريخ 3 كانون الثاني 1949 في صدد المنتمين إلى الماسونيّة، يقول:

"إن أهداف الماسونية التعميمية والغامضة تتضارب مع الأهداف القومية الاجتماعية بحيث لا يمكن التوفيق في الولاء لكليهما فإما أن يكون الشخص قومياً إجتماعياً وإما أن يكون ماسونياً في العقيدة والأهداف. فمن كان ماسونياً وأراد الانتماء إلى المذهب القومي الاجتماعي والدخول في عضوية الحزب القومي الاجتماعي وجب عليه أن ينتفض على المبادىء الماسونية وينشق عن جمعياتها وأن يعلن ذلك صراحة في وثيقة الانتماء.

ولتحي سورية

توقيع الزعيم

أنطون سعاده

21/03/1949
انتهى"

لمّا يكون متناول الطرح أو التساؤل، الإنتماء إلى الماسونيّة، و أظنّ سعاده عارفا

بها و بضخامتها و أخطبوطيّتها، كان الأحرى بالمفكّر سعادة أن يستفيض شارحا عن سلبيّاتها، حتّى على صعيد النتاج الفكري الخاص بسعادة، فهو لم يتعرّض، أبدا، بشكل كاف و واف لجمعيّة خطيرة، يهودية على حدّ زعمه، كجمعية البنّائين الأحرار التي تسمّى بالماسونيّة.

هذا ما أثار لديّ الكثير من التساؤلات و علامات الاستفهام و التعجّب، و بعد البحث، توصلت لبعض الحقائق من المصادر الحزبيّة و التي تدعم القول، بملخّص ما تقول، أنّ سعادة انضمّ إلى الماسونيّة عام 1924، وأعتقها عام 1926، وللذكر، والد أنطون سعادة، الدكتور خليل سعادة كان ماسونياً، انفضّ عنها في الجلسة التي سبقت جلسة تقديم سعادة لخطاب استقالته، و قد كان الدكتور خليل سعادة رئيس المحفل، هذا هو العرض العام المختصر لعلاقة سعادة بالماسونيّة، لكن بالتدقيق و التمحيص، ولا يستدعي البحث الكثير منهما، ينتاب القارئ الدهشة من "طلب استقالة *"قدمّه سعادة لرئيس محفل نجمة سوريا و أعضائه المحترمين، فطلبُ استقالته من المحفل مملوء بخُطب المدح و الثناء للماسونيّة و عليها، حتّى أن سعادة، في خطاب استقالته من المحفل الماسونيّ، لم يتعرّض أبدا لذكر أي مساوئ للماسونيّة!، بل كما قلت على العكس، سطور الإستقالة ملأى بعبارات الإطراء و المديح بحق الماسونيّة، فمثلاً، في مقدّمة خطاب الاستقالة من المحفل، يقول بالنص:

"..اقصد من سياق هذا الموضوع ان اجعل خطابي الوداعي لمحفل نجمة سوريا، خطاباً ملؤه الاخلاص والمحبة والفائدة، وهذه الاوصاف الثلاثة هي ما عاهدت نفسي عليه في خدمة مبدأ البنائين الاحرار وهذا المحفل المبجل والموقر.."

قد يقول قائل: سعادة كان غافلا عن خطورة الماسونيّة؛ لكن الحقيقة أن

سعادة، بقلمه و لسانه، يقول، أو يدّعي، بأنّه قد درس تاريخ الماسونيّة جيّداً و استخلص منه العِبر، فهو يقول بهذا الشأن في الخطاب ذاته، بالنص:

... "متى درسنا تاريخ جمعية البنائين الاحرار جيداً امكننا ان نستخرج منه الامور او القواعد الاساسية الاتية:

إن جمعية البنائين الاحرار جمعية انشئت لأصحاب الافكار الحرة في العالم والقصد منها تحرير الشعوب من قيود الاستبداد واستعباده ، وتحرير العقل البشري من عبودية الاوهام والخرافات وسيطرتها، ومحاربة الجمعية الحكم الاستبدادي المطلق في الشعوب شاهدة على القسم الاول ، ولها امثال كثيرة منها الثورة الفرنسية ، والحملة القومية على الاوهام والخرافات الاكليريكية ، وغيرها في جميع انحاء العالم شاهدة على القسم الثاني واعمال الجمعية في هذا السبيل لا تحصى لذلك اضيف الى جمعية البنائين الاحرار لفظة مدرسة".

من قرأ سعادة، يعلم بأنّه كان ملمّاً – وقت كتب هذا الخطاب – بواقع أمّته و ويلاتها بشكل شبه تام، و الدور اليهودي – الصهيوني الأكبر في جلب هذا الويل على أمّته، و كتب الزعيم في هذا الشأن في المجلات و الجرائد منذ صباه، و لذلك أدلة دامغة، ففي العام 1925 كتب سعادة مقالة بعنوان "سورية تجاه بلفور"، و فيها نتبين و بشكل واضح استشفاف هذا الشاب، ذو الحادية و العشرين سنة، الخطر اليهودي – الصهيوني تجاه أمّته؛ إذا سعادة لم يكن شاباً غبياً لا يعلم ما يفعل أو ما يدور حوله، و لا ريب أن أي مطلّع، و بدرجة مبتدئة، على الماسونيّة سيقع تحت ناظريه سطور تفيد بعلاقة

الماسونيّة باليهوديّة، و دون الغوص بهذه العلاقة، التي قد لا تغاير علاقة الماسونيّة بالمسيحيّة أو الإسلام أو المُلحدين، لكن بُغضُ سعادة لليهود و حنقه عليهم، و هو القائل": حربنا مع اليهود حرب وجود لا حرب حدود".، و القائل أيضا .. ": ليس لنا من عدوّ يقاتلننا في ديننا و حقّنا و أرضنا إلّا اليهود".، عداؤه هذا لليهود لم ينعكس أبدا على علاقته بالماسونيّة، التي هي على علاقة متينة مع اليهوديّة، كما يقول في نصّ جوابه لعميد الداخليّة المذكور أعلاه، كما أنّه في نصّ خطابه للمحفل الماسونيّ، و قد ذكرته سابقاً، يقول بأنّه مطّلع بشكل كاف على تاريخ جمعيّة البنّائين الأحرار، و وصل لدرجة استخلاص العِبر.

إنّ سعادة قد وضعنا ههنا في اختلاطات لا تتحمّل العقاقير الطبيّة مسؤولية تطبيبنا منها، فإطلاق صفة القداسة على جمعيّة الماسونيين، و وصف عشيرة الماسونيّة و المنضمين إليها "بالمقدّسين" هو بالشيء الكثير الكثير، و هذا هو عين ما فعله سعادة، في نصّ معاتبة المحفل، بشكل خاص، و الماسونيّة بشكل عام، فهو يقول في هذا الشأن، بالنص:

"ان محافل كثيرة في العالم اهملت أمر المسؤولية الملقاة على عاتقها وادخلت في عداد اعضائها من ليسوا اهلاً للانخراط في سلك العشيرة المقدسة فكان ذلك باعثاً على فشلها في مهمتها المقدسة وفي هذا الخطأ الخطير، الخطر اوقع كثير من المحافل السورية"

هذه بعض العِبر التي استخلصها سعادة من دراسته تاريخ الماسونيّة، فيقول :

"هذه هي الأمور التي نستخرجها ويهمنا استخراجها من التاريخ"... هذا ما قاله سعادة، و يصل سعادة للبّ جوهره ومقصده بفتح الموضوع ليقول في خطابه:

"ان القصد من فتح الموضوع، هو فائدة محفل سوريا الذي تشرفت بأن اكون احد اعضائه، والذي شرفني في المدة الاخيرة بوظيفتي سكرتيره رغماً من اني اقل اعضائه اهلية لها، لذلك ارى الواجب يقضي بترك فلسفة النعامة التي تزج رأسها في الرمال حاسبة انها بذلك تخفي نفسها عن الصائد والاقرار بالحقائق الواقعية. ان وجودي في مركز سكرتيرية المحفل ، يخولني التصريح بأن محفل نجمة سوريا قام بأعمال خيرية حميدة وفكر في مشاريع مفيدة، ولكنه لم يتصدّ لخوض قضية مبدأ الجمعية الاساسي والعمل في سبيله، ويمكنني الان ان اقول ان كل المحاولات التي قصد منها حمل المحفل على التدخل في مسألة حرية وطننا انتهت بالفشل، واخر المحاولات من هذا القبيل كانت محاولة عقد مؤتمر عام للبنائين الاحرار السوريين في البرازيل فرغماً من تقرير عقد المؤتمر المرة بعد المرة، فشلت كل الجهود في تنفيذ ذلك القرار."

أودعكم الاقتباس أعلاه دونما تعليقات.

بعد قراءة هذه الأسطر، قد لا ينجلي للقارئ مبرر طلب سعادة إعفائه من عضويّة المحفل و مسئوليّاته فيه؛ ففي نهاية الخطاب تقريبا، و بأسلوب خجل

تنقصه الحجّة المنطقيّة، يقول سعادة موضّحاً سبب انفضاضه عن الماسونيّة و محفلها، و يقول بالنص:

"ان الرئيس المحترم (الدكتور خليل سعاده والد انطون سعاده) ذكر في كتابه الوداعي في الجلسة السابقة انه اذا كان المحفل يرى ان عدم التداخل في السياسة يضمن كيانه فالأفضل ان لا يتداخل المحفل في السياسة وانا من الذين يوافقون على كلام الرئيس المحترم ويعترفون بحكمته . بيد انه لما كنت انا سياسياً قبل كل شيء، فإني قد انصرفت الى الاشغال بالسياسة خارج المحفل، والشغل السياسي اخذ في المدة الاخيرة في الازدياد حتى اصبح يستغرق كل وقتي تقريباً ، لذلك ارى ان الحالة تضطرني الى طلب الاستعفاء من كل وظيفة في المحفل ومن عضوية المحفل ايضاً ، واني ارجو ان يجيبني المحفل الى طلبي خصوصاً واني سوف اكون من الان فصاعداً زيادة عدد فقط ، لأن العمل الذي لا يمكنني القيام به والذي لأجله بقيت كل هذه المدة صامتاً صابراً، ليس للمحفل حاجة به"

لهذا ترك سعادة المحفل، بسبب تعارض عمله في السياسة مع قرار المحفل بالابتعاد عنها، بل حتّى أن سعادة لم يتعرّض لا لنقد و لا لنقض أي فكرة أو مبدأ ماسونيّ، بل قد استفاض في مدح و شكر الجمعيّة مرّة أخرى، ليقول بالنص:

"بقي ان اعلن امام هذا المحفل الموقر ان انسحابي من عضويته ليس دليل استياء او ما شاكل، بل الحقيقة اني اتأسف جداً لاضطراري الى ترك محفل

نجمة سوريا الذي لا اندم مقدار ذرة على وجودي فيه، بل بالعكس احمد الظروف التي قادتني اليه .في محفل نجمة سوريا وُجدت بين اخوان غيورين مخلصين شعرت انهم اخوان حقيقيون لي. ورجائي الخاص اليهم ان ينظروا الى تقصيري واغلاطي بعين الحلم وان يذكروا دائماً اني بشر لا اله .

يا اخواني الاعزاء:

ثقوا بأني اترك محفل نجمة سوريا حاملاً لأعضائه في قلبي تذكارات جميلة جداً هي تذكارات الاخوّة الحقة والمحبّة الصادقة، اني لن انسى محفل نجمة سوريا، فليحيى محفل نجمة سوريا وليحيى اخوان محفل نجمة سوريا.

أنطون سعاده"

أمّا الآن، وبعد عبارات المدح و الإعجاب و الثناء و الاطراء، بحق الماسونيّة عن لسان أنطون سعادة و قلمه، سنأتي على ذكر بلاغ سعادة **الذي أتى فيه على ذكر تحذيرات من الماسونيّة و الانضمام إليها، تحذيرات سعادة، بأسلوبها التعميمي المُبهم لا تسمن متعطّش للمعرفة و لا تُغنيه عن جوع، فسعادة، في معرض تحذيره القوميين الاجتماعيين من الانضمام للماسونيّة، يقول:

"إن الماسونية هي جمعية سرية انترنسيونية لها أهداف مستترة غامضة تحت ستار (حرية – إخاء – مساواة)

إن انترنسيونية الجمعية المذكورة لا تتفق مع القومية .

إن أعمال " الإحسان " التي تقوم بها الماسونية لا تحتاج إلى الأسرار و الغموض و التخفي .

إن الحرية و الواجب و النظام و القوة هي المبادئ القومية الإجتماعية المناقبية الجديدة .و تعاليم الحركة القومية الإجتماعية تشتمل على المساواة في الحقوق و العدالة الإجتماعية و هي تغني عن شعار الماسونية المتضارب في غايته مع الغاية القومية الإجتماعية .

إن الماسونية تفرض على المنتمي إليها واجبات و قيوداً تتضارب مع الواجب الذي يقيد القومي الإجتماعي.

إن الماسونية تخضع مجموع الأعضاء الماسون الفعالين الذين نالوا الدرجة الثالثة لقضايا تقررها محافل الدرجات العليا و تبقى مكتومة عن الدرجات التي هي دونها.

إن الماسونية لا تطلع طالب الانتماء على كتبها السرية قبل دخوله و لذلك هي تخدع السذج بقضايا " الحرية و الإخاء و المساواة " الغامضة الغير محددة و الغير مقيدة.

إن الماسونية تشتمل على رموز يهودية كثيرة و دعاوة قوية لإعادة بناء هيكل سليمان الذي يرمز إلى السلطة اليهودية الطامعة في الأرض السورية . وهذه الجمعية تلعب بها أيدي يهودية كثيرة.

لا يجوز للقومي الإجتماعي أن يعمل بولائين : ولاء للعقيدة السورية القومية الإجتماعية و النظام السوري القومي الإجتماعي : و ولاء لأهداف الماسونية الطائشة ونظامها الإنترنسيوني اليهودي."

شخصيّا، و لافترض بأنني شاب مقبل على الانتماء للعقيدة القوميّة، لن تفلح هذه الحجج بإقناعي لا بضرورة و لا بصوابيّة الابتعاد عن الماسونيّة، بل إني لأرى فيها بعض الانتقاص و الامتهان لذكائي و مقامي كسوريّ، فحجّة سعادة الأولى بأن سريّة منظمة البنّاؤون الأحرار هي سبب للابتعاد عنها، دون الإتيان على ذكر أدله كافية و وافية لخطورة هذه السريّة و نتائجها السلبيّة، هي حجّة غير مُقنعة، خصوصا لما نعلم بأن حزب سعادة نفسه، في نشأته، كان سريّاً يكتنفه الغموض، و بأن الكثير من المؤسسات عبر التاريخ إلى الآن، و هي جماعات خيّرة، يكتنف عملها السريّة، و حجّتها ضمان النجاح الذي تبتغيه؛ بل و أكثر، أنطون سعادة نفسه، و هو ينتقد سريّة الماسونيّة، أسّس، سرّاً، في العام 1924 م جمعيّة أسماها (جمعيّة الشبيبة السوريّة الفدائيّة)، و انسحب منها في العام 1926 م، قد وضع هو بنفسه قانون الجمعيّة الأساسي، إلى جانب مبادئها، و أراد لها السريّة التامة لتصل وطنه الأمّ .

لِمَ تُعتبر،بالنسبة لسعادة سريّة "جمعيّة الشبيبة السوريّة الفدائيّة" و تأسيس

"الحزب السوريّ القومي الاجتماعي" من الضرورات الإيجابيّة، بينما سريّة الماسونيّة من المحظورات ؟!

أمّا عن حجّة سعادة الثانيّة، بأن انترنسيونيّة – عالمية – الجمعيّة لا تتفق مع القوميّة هي حجّة أكثر فقرا؛ مع هكذا معيار يمكننا القول بأن" الإنسانيّة" أيضاً انترنسيونيّة، و هذه بديهة، أفلا تتفق مع القوميّة!

أمّا عن أنّ أعمال الإحسان التي تقوم بها الجمعيّة لا تتطلب الغموض و التخفّي، فللعلم أيضا، أغلب أعمال الإحسان، لتأتي نتائجها، و عبر التاريخ، قد اكتنفها الغموض، و لنا في حوادث عالميّة كثيرة خير دليل، حوادث أتت بإحسان جمّ على البشريّة، لكن حيكت خيوطها بغموض و تخفّي، أيضا و لكي لا نبتعد كثيرا، نقول الحزب السوريّ القوميّ الإجتماعيّ، و أعمال إحسانه التي كان يقوم بها و ظلّ يكتنفها الغموض و التخفّي، من يوم نشأته لحين انضمامه للجبهة الوطنيّة التقدميّة في سوريا؛ ببساطة جزلة، أعمال الإحسان الغامضة لا تستدعي الاستهجان، بل الشعور بالتواضع لربما!

أمّا في سريّة المعلومات التي تقدّمها الماسونيّة لأعضائها بدرجات معيّنة، لا أظنّني ملزم على تقديم أمثلة لطوائف أو جمعيات أو مؤسسات أخرى أكثر انتشارا، مدلولها بأن لكل مقام مقال و لكل درجة أو مرحلة مجالها المعلوماتي التي يستطيع المعني بالاطلاع عليه، و سعادة لم يدعُ إلى الانتفاض عن أي من هذه الطوائف أو المؤسسات كما دعا للانتفاض عن الماسونيّة و لنفس السبب !

فيما يخصّ عدم اطلاع الماسونيّة لمن يودّ الدخول فيها على كتبها السريّة، و قد نعت سعادة هؤلاء "بالسذج"، و لمن يريد التعرّف على بعض هؤلاء السذج، عليه بالموسوعات العالميّة، سيكتشف الباحث بأن عباقرة من العالم، بأن صنّاعا ساهموا في بناء البشريّة الحديثة، كانوا من الذين وصفهم سعادة "بالسذج" و من أعضاء جمعيّة البنّاؤون الأحرار، حتّى سعادة نفسه، هل كان "ساذجا" لما أقبل على الماسونيّة ؟ و هل كان والده، د. خليل سعادة أيضا "ساذجا" لاعتناقه الماسونيّة لسنتين من الزمن ؟

ثمّ، كيف يكون المُقبل على الماسونيّة من "السذج"، بحسب وصف الزعيم سعادة، و هو نفسه كان قد أقبل عليها في مقتبل العُمر؟، و بالتأكيد لم يكن ساذجا و والده لم يكن ساذجا أيضا وقتها، أقول هذا لأن من يملك قدرات سعادة و فكره وقتما انضمّ للماسونيّة، هو أبعد ما يكون عن السذاجة؛ نعم، سعادة لم يكن ساذجا لمّا انضم إلى الماسونيّة!، فمن ينشر المقالات التي نشرها سعادة آنذاك هو على حد النقيض من السذاجة، بل هو على قدر كبير من الذكاء و سرعة البديهة، في العام 1925 نشر سعادة مقالاً عن ألمانيا بعنوان :"ألمانيا دولة و أمّة"، و مقالة أخرى تُعنى بالسياسة بعنوان :"القضيّة القوميّة الصهيونيّة و امتدادها"، و في العام 1926 م نشر مقالا ينتقد فيه رباعيات شاعر المهجر "الياس فرحات" في جريدة القلم الحديدي التي تصدر في مدينة سان باولو البرازيليّة.

أظنّ أن هذه المقالات – التي تُعاصر الفترة التي انضم إليها سعادة للماسونيّة – تثبت أن سعادة لم يكن من السذج، بل كان على دراية كبيرة بما هو مقبل عليه بالانضمام إلى الماسونيّة، سعادة لم يكن "ساذجا" كي تخدعه الماسونيّة بقضايا "الحريّة و الإخاء و المساواة."

أما عن الحجّة الأخيرة، اشتمال الماسونيّة على رموز يهوديّة كثيرة ؟!

أهذه حجّة مُقنعة لينتفضّ أحدهم عن اعتناق الماسونيّة ؟؟

تُراه، ألم يكن يعلم و هو في ذاك السنّ، أن المسيحيّة، مثلاً، تشتمل بركائزها و طقوسها و صلواتها و تاريخها .. إلخ، على العديد العديد من الرموز اليهوديّة؟

في هذا أيضا تشابهٌ، لو أراد سعادة، بشكل فعلي و واقعي، ما دعا إليه، من ضرورة الانتفاض على الماسونيّة لهذه الأسباب- الرموز الماسونيّة، و إعادة بناء الهيكل - ، و بعد أن بيّنا وجودها أيضا في الدين المسيحيّ و كتابه المقدّس – العهد القديم، نستغرب تغاضيه عن تحذير القوميين الإجتماعيين من المسيحيّة و كتابها المقدّس - بعهديه - و احتوائها على رموز يهوديّة و ذِكْر بناء هيكل سليمان.

عُذرا يا سعادة، في خطابك هذا ضبابيّة شديدة، لم نعتدها منك، في هذا امتهان للذكاء و لرفعة "الغنى السوريّ" المتجذر في التاريخ.

ثمّ عن أن الماسونيّة هي طائشة، علينا الاستعانة بسعادة نفسه، و هو القائل : "لذلك اضيف الى جمعية البنائين الاحرار لفظة مدرسة "ثمّ أن جمعيّة - كجمعيّة الماسونيّة - كان لها الدور الأهم و الباع الأطول، بحسب ادعاء سعادة، في قيام الثورة الفرنسيّة مثلا 1789 – 1799 م، لا يمكن بأن تكون طائشة أو أن تقرب للطيش بشيء، لا ريب بأن جمعيّة قد خطّطت و نفّذت ثورة

كالثورة الفرنسيّة، وهي ثورة غيّرت وجه العالم و كان لها الدور الأكبر برسم العالم المعاصر، ستكون جمعيّة منظّمة بعيدة كل البعد عن أي طيش أو لهو.

الحجّة الوحيدة التي تحمل الإقناع في طيّاتها، هي عدم الجواز للسوري المنتمي لحزب سعادة، و بحسب سعادة، أن يعمل بولائين، ولاء للنهضة القوميّة، و ولاء للماسونيّة، و كان الأحرى بسعادة أن يكتفي بهذا الذكر، اختصارا لكثير من الشكوك التي ستظلّ تدور حول فكر سعادة، حول أنطون سعادة و الماسونيّة، حول ما اكتشفه هو في الماسونيّة – و أقنعه بتركها – و لم يستطع كشفه للقوميين بخطاب تحذيره!، ألا ليته اكتفى، بحظره الانضمام للماسونيّة، بتخصيص ولاء السوريّ القوميّ الاجتماعي لراية النهضة، لكان في ذلك الكثير من الخير و المنطق.

أخيرا، أعود و أكرّر ما قلته بِدءَ مقالي هذا:

هذا المقال لا يُعنى بالدفاع عن الماسونيّة، و ليس بصدد ذلك.

قضيّة انفضاض أنطون سعادة عن الماسونيّة ليست موضع الشك أبداً، و لا محور نقاشنا، فمن المؤكّد تاريخيا حدوث هذا الانفضاض، لقد انفصل أنطون سعادة عن الماسونيّة؛ فباختصار، جوهر المقال هو : بحث نقدي في طريقة تعاطي أنطون سعادة مع موضوع طارئ، و الموضوع هو وجود حالة انضمام بعض القوميين الاجتماعيين للماسونيّة، هو بحث نقدي يتناول طريقة ردّ سعادة على خطر يداهم الأمّة؛ و لو كانت أي جمعيّة او منظّمة أو إيديولوجية هي الموضوع الطارئ، لما اختلف شيء في هذا المقال من حيث السرد والفكرة.

للزعيم، أنطون سعادة، جزيل احترامي و تقديري، فهو، بنظري، و كما ذكرت في مقالات نشرتها سابقا، من أخيار ما أنجبت أمّتنا في قرنها المنصرم، و ظنّي لو أن سعادة حيّ يرزق، و هو الذي ما كان ينفكّ يقول: "العقل هو الشرع الأعلى"، لقرأ بحثي النقدي هذا بفرح، و تلقّاه برحابة صدر، لافتخر بأن سورياً لم يسلّم حتّى له – لسعادة، لطالما أن كلّ بشري هو عرضة للخطأ – كما يقول سعادة نفسه.

لو كان الزعيم، أنطون سعادة، حيّ يرزق، ألا ليته كان، لفَرِحَ بأن سورياً سلّم فقط لقدرة العقل البشري على البحث، التساؤل و الإجابة.

صافيتا

2009 / 9 / 30

مراجع:

*أنطون سعادة: إلى محفل (نجمة سورية) الماسوني | كتاب استقالة، الآثار الكاملة، الجزء الأول، ص 130، عن صدى الشمال – صوت الجيل الجديد، بيروت، العدد 84، 1960/2/14 | نقلا عن القلم الحديدي، سان باولو، 1926.

**بلاغ الزعيم عن الماسونيّة 11 أيّار 1949